فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يـــقـــدم

من سلسلة "قصة رواها الرسول"

أيوب عليه السلام والعافية بعد البلاء

لفضيلة الشيخ : جمال المراكبي

رابـط الـمـادة : http://www.way2allah.com/khotab-item-28411.htm

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الدين وعلى رسل الله أجمعين، أما بعد..

الدنيا دار بلاء واختبار

هكذا خلقها الله تبارك وتعالى، ليست بدارِ خلود نعيمها لايبقى ولايصفو ويُسأل عنه المرءُ يوم القيامة، والمؤمن يُبتلى بالسرّاءِ ويُبتلى بالضراء، والحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يقول: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلّا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له " صحيح مسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بينما أيوب يغتسل عريانًا، خر عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فنادى ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن بركتك " صحيح البخاري

أيوب هذا النبي الكريم الذي قصَّ الله علينا شأنه في موضعين من سور القُرآن الكريم، في سورة الأنبياء: "وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ" الأنبياء ٨٣: ٨٤

وفي سورة ص: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ " ص ٤١: ٤٤

صبر نبي الله أيوب صبرٌ يُحتذى به

وقد جاء في غير الصحيح، أن الله عز وجل ابتلى أيوب بالنعماءِ فشكر،كان له أهلٌ ومالٌ كثير لايُحصى ولا يُعد، فقدّر الله عليه البلاء فذهب ماله كله وماتَ أبناؤه كُلهم فلم يبقَ منهم أحد، وابتلاه الله بالوجع بالمرض حتى هجره القريب والبعيد ولم يبقَ معه إلا امرأته ورجلان من خاصة أصحابه كانا يتناوبان زيارته.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به" لم يرفع الله عنه المرض ولا الألم " فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له " فتغير وجه أيوب وتأثر تأثرًا شديدًا " فقال أيوب: لا أدري ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان، فيذكران الله" كُلٌ يحلف على حقه، فأُصلح بينهما ثم أعود " فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلّا في حق ... " صححه الألباني فأُكفر عنهما كفارة اليمين مخافة أن يُذكر الله إلا على حق، أما ما تقولان فلا أدري ماتقولان، لا أعلم ذنبًا، وهل يُذنب النبي؟

أيوب نبي، ولكِن الله جعله مثلاً في علو القدر وجعله مثلاً لكل مُبتلى بالمرض فصبرَ أيوب صبرًا جميلاً يُحتذى به، ويُضرب به فيه المثل، في بعض الروايات أن أيوب خر لله ساجدًا وقال وعزتك لا أرفع حتى تكشف مابي، إذا كان الناس يظنون هذا الظن وأنا لا أُريد بالناس أن يظنوا بي ولا أن يظنوا بكَ يارب ظن السوء، وظن السوء يأتي دائمًا من الشيطان، وساوس الشيطان تُلقي في روع ابن آدم ظن السوء، ألم ترى إلى بني إسرائيل لما وجدوا موسى لا يغتسل معهم عُريانًا قالوا إن به عيب، ظنوا به ظن السوء فبرَّأه الله مما قالوا، وكذلك هذا الرجل وهو من خاصة أصحاب أيوب لكنه لما رأى البلاء ولما رأى المرض قد نزل به وطال به، قال " والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين "، لماذا؟ لأن الله لم يرفع عنه ما أنزله به وما قدره عليه.

الخير كل الخير من الله

ولكن الله سبحانه وتعالى شفى أيوب ورفع عنه البلاء "... قال: وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكته امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى إلى أيوب أن: "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" ص: ٤٢ " صححه الألباني والركضُ هو الجري، المريض يجري!

حتي إن بعض الذين يتناولون القُرآن ويُحاولون أن يُطبقوا عليه بعض النظريات يقولون إن الركض أو الجري فيه صحة ويستدلون بهذه الآية، والبعض يقول "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ"، يعني ضع رجلك في عين الماء..

"هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ"، يعني اشرب من هذه العين واغتسل من هذه العين يذهب ما بك، أوحى الله إليه هذا ولعل الوحي جاءه وهو ساجد، لأنه في سجوده كما قال الحسن: قال والله لا أرفع رأسي حتي ترفع مابي لايقولن الناس كذا وكذا لايظنون بي ولا يظنون بك ظن السوء، فقال له ربه:" ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" ص: ٤٢

وذكر ربُنا تبارك وتعالى أن أيوب قال في دعائه: " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" الأنبياء : ٨٣، لم يشكُ لم يعرض الشكاية لم يقل الألم في كذا، والوجع في كذا والمرض في كذا، إنه ضُرُ قد نزل به بتقدير الله عز وجل، وفي سورة ص نسب هذا إلى الشيطان، لأن المكروه والسوء لا يُنسب إلى الرحمن..

كما قال إبراهيم الخليل: " وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ " الشعراء ٧٩: ٨٠

لم يقل والذي هو يمرضُني ويشفين وإنما قال " وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ" الشعراء : ٨٠ ،لأن الخير كل الخير من الله والشر ليس إليه كما كان حبيبُنا مُحمد صلى الله عليه وسلم يقول في استفتاح الصلاة: " والخير كله في يديك، والشر ليس إليك" صحيح مسلم

نبي الله أيوب قال: "وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" الأنبياء:٨٣

وقال: " أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" ص: ٤١، قال له ربه: "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" ص: ٤٢

فكشف الله مابه وعاد أبرأ ماكان.. أصح ما كان، جلده على أحسن ما يكون حتى إن امرأته لما عادت لم تعرفه ".. فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى إلى أيوب أن: "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ " ص : ٤٢ فاستبطأته، فتلقته تنظر وقد أقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، والله على ذلك ما رأيت أشبه منك إذ كان صحيحًا، فقال: فإني أنا هو.." صححه الألباني، فقال لها: أنا أيوب، أنا نبيُ الله أيوب.

الله أبرَّ قَسَم نبيه أيوب

وكان قد أقسمَ عليها في لحظةٍ من لحظات الغضب أن يضربها مائة سوط، مائة جلده، أغضبته والمريض يغضب، المريض في شدة البلاء ربما يغضب ربما يخرج منه تعبير لا يُعجب من يُمرّضه ومن يكون معه، فقال لأجلدنك مائة جلدة، فقال له ربه: " وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا " ص: ٤٤، والضغث هو شمراخ النخل، العود الذي يحمل الأعواد التي يكون فيها التمر، والضغث هو سُباطة البلح أو العود الذي تتدلى منه أعواد فيها التمر، فقال اضرب به ضربةً واحدة ولاتحنث في يمينك، مع أن أيوب كان يُكفّر عن المُتخاصمين إذا حلفا بالله، يُكفر عنهما بعد أن يُصلح بينهما، والكفارة معروفة في شرعه وفي دينه، إلّا أن الله أبر قسمه وفي نفس الوقت لم تُعذَّب هذه المرأة الصابرة، التي صبرت على بلاء زوجها .

أغنى اللهُ أيوبَ من حيث لا يحتسب

ثم انظر إلى أيوب "وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ " ص:٤٣، أنجبت المرأة أولادًا بارك الله فيهم، أعطاه الله مالاً وبارك الله فيه، بل كان هذا المال من حيث لايَحتسب، كما جاء في الحديث " خر عليه رجل جراد من ذهب " رجل جراد يعني الجراد الكثير، يعني ذهب على هيئة الجراد كأنه جراد ينزل من السماء، فإذا به ذهب، فجعل أيوب يخاف على الجراد أن يذهب في عين الماء، جراد الذهب سينزل في عين الماء ربما لا يُحصّله، فجعل يحثو في ثوبه " فنادى ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن بركتك" ومَن يستغني عن البركة؟

المطر من السماء بركة، وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يحسر عن ثوبه لينزل المطر من السماء على جسمه ويقول: "لأنه حديث عهد بربه تعالى" صحيح مسلم

إنها بركة جديدة مُتجددة فكيف إذا جاء الرزق من حيث لاتحتسب؟

خر عليه الذهب والفضة من السماء ".. وكان له إندران أي – بيدران– أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض" صححه الألباني

البيدر أو الأندر هو جُرن القمح فكان له جُرن في أرضه، جُرن قمح، عارفين الجُرن المكان الواسع الذي يُدرس فيه القمح، فكان له جُرن أندر أو بيدر للقمح وجُرن للشعير، فامتلأ جُرن القمح ذهبًا وامتلأ جُرن الشعير فضةً، فأغنى الله أيوب من حيث لا يحتسب، وكان أيوب مثالاً ونموذجًا للعبد الشاكر في النعماء وللعبد الصابرِ في الضراء، وهو هنا يقول لا غنى لي يا رب عن بركتك، ومَن منا يستغني عن بركات الله؟ مَن منا يستغني عن فضل الله؟ مَن منا يستغني عن رزق الله الذي يأتي بالأسباب المعروفة؟ وربما يأتي بغير الأسباب المعروفة، ولكن لمَن؟ لكل عبدٍ يتقي الله "وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا" الطلاق ٢: ٣

نتعلم من قصة ابتلاء نبي الله أيوب أننا أيضًا في هذه الدنيا لنُختَبَر، أننا أيضًا في هذه الدنيا لنُبتَلى، ولكن يُبتلى المرء على قدر دينه، من فضل الله علينا ومن رحمة الله بنا أنه لا يبتلينا بهذه الصورة الشديدة التي ربما لا نقوى عليها ولانقدر عليها.

ولهذا نحن دائمًا أبدًا نقول مقالة النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك من أن أُغتال من تحتي " صححه الألباني

نقول مقالة الحبيب مُحمد صلى الله عليه وسلم: " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ماكانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين" صححه الألباني

وصلِّ اللهم على نبينا مُحمد وعلى آله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36